رحلتي إلى السعودية : البيت العتيق وقبر الرسول

تعامل جاد وضيافة كريمة ولا فوارق بين المذاهب

شاكر عبد موسى الساعدي

ميسان

بداية

بحمد الله وتوفيقه قمت بزيارة المملكة العربية السعودية يوم الاثنين الموافق الرابع من شهر شباط 2018 لأداء مناسك العمرة المفردة لمدة عشرة أيام ضمن المجموعات السياحية في منطقة سكني أو ما تسمى (الكروبات أو الحملات) البالغ تعدادها 210 اشخاص تشكل النساء فيها أكثر من 80 بالمائة ، انطلاقاً من مطار البصرة الدولي ، باتجاه مطار الملك عبد العزيز الدولي في مدينة جدة العاصمة الاقتصادية للمملكة ، بواسطة طائرة بوينغ 737 تابعة للخطوط الجوية العراقية ، استغرقت الرحلة ساعتين ونصف الساعة ، لتطوي مسافة 1300 كم / جو و على أرتفاع 36 إلف قدم .

بعد الوصل إلى مدينة جدة السعودية انطلقنا إلى المدينة المنورة بواسطة حافلات نقل حديثة تحتوي على أجهزة شحن الهواتف النقالة ، تلك الهواتف التي لا تفارق أيدي الشيب والشباب من الرجال والنساء ، قاطعين مسافة 420 كم لنستقر في فندق جلنار ذو الاثنى عشرة طابقاً لتبدأ رحلة التعبد والتسوق والأكل المفرط .. فمعظم العراقيين هم أكثر شراهة بالأكل والشرب من بقية الشعوب الموجودة معنا في نفس المكان التي تأكل وتشرب على قدر حاجتها ، أما نحن نترك نصف الطعام والشراب للقمامة ، والبعض منا لا يضع القمامة في المكان المناسب لها ، فكيف تتوقع منهم أن يختاروا الشخص المناسب في المكان المناسب عند أجراء الانتخابات المحلية والبرلمانية ؟.

الفنادق :-

في كل فندق كبير سواء كان في المدينة المنورة أو في مكة المكرمة مطعم وقاعة كبيرة لتناول الطعام تستوعب مئات الزائرين ،هذه القاعات تؤجر لصاحب الحملة الذي يقوم بدوره بتهيئة الطعام والشراب للمسافرين عن طريق التعاقد مع شركات أطعام خاصة أو ما يسمى (بوفيه مفتوح).

كذلك يوجد في كل فندق مصلى كبير يتسع لأكثر من خمسمائة مصلٍ إلا أن الغالبية من العراقيين يصلون في ممرات طوابق الفندق التي يسكنون وبشكل جماعي رجالاً ونساءً يؤمهم رجل دين مبعوث من قبل دائرة الإرشاد الديني / الهيأة العليا للحج والعمرة والذي يقوم بتسهيل الزيارة للمعتمرين عن طريق تعليمهم مناسك العمرة وترديد شعائرها المطلوبة ، كذلك بشرح الأماكن والمزارات الدينية والتاريخية الأخرى للمعتمرين ، فهو يعتبر القائد الروحي للحملة ، أما الأمور التنظيمية يشرحها صاحب الحملة أو المرشد الإداري المرافق لها مثل أوقات الطعام وأوقات تجمع المعتمرين ونقلهم وأوقات الوصول والمغادرة والسكن.

عند نزولك من الفندق الذي تسكن يتلقفك أصحاب سيارات الأجرة – التكسي – لينقلوك إلى الأسواق التجارية (المولات) مجانا ، وكنت أتوقع أنهم ينقلوننا لوجه الله تعالى ولكن بعد وصولنا – المول – أخذنا إلى شخص جالس عند باب الدخول ليأخذ منه مبلغ خمسة ريالات عن كل شخص جاء به إليهم ، كذلك عن العودة يقرأ صاحب السيارة فاتورة الشراء ليقدمك مرة ثانية لرجل جالس في باب الخروج ليعطيه أجرة النقل عن كل شخص أشترى منهم فإذا كان مبلغ الشراء قليلاً كما حدث معي يقول لك أنت تدفع أجرة النقل.

تعج تلكم المولات بالمتبضعين العراقيين رغم أرتفاع الأسعار بسبب ضريبة القيمة المضافة التي فرضتها الحكومة السعودية على معظم السلع الاستهلاكية البالغة 5 بالمائة من قيمة الشراء ، فنحن من الشعوب المدمنة على الشراء عند السفر كهدايا للأهل والأصدقاء لأن العراقي لا يأتي فارغاً عند السفر حتى وأن كان فقير الحال.

السعودية

دولة عربية خليجية تمتد من الخليج العربي شرقا حتى البحر الأحمر وخليج العقبة غرباً ، لها حدود مشتركة مع عُمان واليمن وقطر والإمارات والكويت والأردن والعراق ، تعداد نفوسها ما يقرب من 33 مليون نسمة ، يشكل الأجانب والوافدين أكثر من ثلث السكان ، ومساحتها أكثر من مليوني كيلو متر مربع .

تُقسم السعوديّة إلى أربع مناطق كبيرة،يحكم كل منها أمير من العائلة الحاكمة في العاصمة الرياض وهي : -

الإحساء : وتُعرف باسم المنطقة الشرقيّة، عاصمتها الدمّام ، ومن أهم مدنها : رأس تنورة، وظهران.

نجد : تقع في وسط البلاد، وتتضمّن العاصمة الرياض.

الحجاز : وتُعرف بأنّها المنطقة الغربيّة الممتدّة على طول البحر الأحمر، وتضم مكّة المكرّمة، والمدينة المنورة.

عسير : وتعد أبها أبرز مدنها .

أذن تواجدنا محصور في المنطقة الغربية التي تضم مدينتي مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وما يميزهما أنّ فيهما المسجد الحرام الواقع في مكة المكرمة، والمسجد النبوي الشريف الموجود في المدينة المنورة، اللذان يعتبران أهمّ الأماكن قداسةً لدى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

المدينة المنورة :

أول عاصمة في تاريخ الإسلام وثاني أقدس الأماكن عند المسلمين كافة ، تقع غرب المملكة وتبعد 385كم شمال شرق مكة ، تبلغ مساحتها 150 إلف كم2 ونفوسها1،778 مليون نسمة .

المعالم

1- المسجد النبوي الشريف :-

أكبر المساجد في العالم وثاني أقدس موقع في الإسلام بعد المسجد الحرام في مكة المكرمة وهو المسجد الذي بناه النبي محمد ñ ص – سنة 1 هجرية بجوار بيته بعد بناء مسجد قباء وهو أحد ثلاث مساجد تشد أليها الرحال تبلغ مساحته 341 ألف م2 يستوعب مليون مصل عند الذروة .

2- قبر الرسول الأعظم :-

وافت الرسول محمّد صلى الله عليه وسلم المنيّة في يوم الاثنين، الثاني عشر من ربيع الأوّل من السنة الحادية عشرة للهجرة ، قام بغسل النبيّ صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه مع العبّاس بن عبد المطّلب، بالإضافة إلى ولدي العباس وأسامة بن زيد وشقران مولى الرسول صلّى الله عليه وسلّم، فكان العبّاس وولداه يقومان بتقليب الرسول عليه السلام، وأسامة وشقران يقومان بصبّ الماء، وعلي رضي الله عنه يقوم بغسله بيده من فوق ثيابه. وكان علي رضي الله عنه يردّد وهو يغسله (بأبي أنت وأمّي طبت حيّاً وميتاً) ثمّ قام الناس فصلّوا عليه -عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم- فرادى، الرّجال ثمّ النساء ثمّ بعد ذلك الصبيان. قام أبو طلحة الأنصاري بحفر قبر للرّسول عليه السلام، وقام عليّ بن أبي طالب بالنزول إلى القبر مع ابني العباس رضي الله عنهم جميعاً، ووارى جسده الطاهر التراب، ورفعوا القبر مقدار شبر عن الأرض، وكان رأسه إلى جهة الغرب، ورجلاه إلى جهة الشرق، ووجهه كان باتجاه القبلة.

يقع قبر الرسول صلّى الله عليه وسلم في الحجرة التي توفّي فيها، والتي كانت تقيم بها زوجته عائشة ، وتقع هذه الحجرة بالتحديد شرق مسجده رضي الله عنه في المدينة المنوّرة، ويمكن وصف مكان قبره صلى الله عليه وسلم في الزاوية الغربيّة القبليّة من حجرة عائشة ،ويذكر أنّ الحجرة كانت مبنيّةً من الجريد قبل أن يقوم عمر بن الخطاب باستبداله بالحجر؛ إذ قام ببناء حائط صغير عليه، وبعد ذلك دفن بجانبه صلّى الله عليه وسلم صاحباه أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب، بعد أن أوصى أبو بكر الصديق عائشة بأنّه إذا توفي أن يدفن بجانب الرسول عليه السلام، واستأذن عمر بن الخطاب عائشة قبل موته بأن يتمّ دفنه بجانب صاحبيه، فقالت له كنت أريده لنفسي، ولأورثنه اليوم على نفسي ، وبين القبر ومنبر النبي روضة من رياض الجنة وهي مسافة لا تتعدى العشرة أمتار يسمح للزائرين أداء الزيارة فيها على شكل مجموعات لتخرج منها وتزور قبر النبي وصاحبيه دون أن تلمس القبر أو تتوقف عندهما لان هناك من لا يسمح لك بالوقوف لكثرة الزائرين.

3- مقبرة البَقيعُ : -

هي مقبرة بجوار قبر النبي محمد – ص ñ الذي يضم معه قبرا الخليفة أبو بكر الصديق والخليفة عمر بن الخطاب (رض) ، مساحتها حوالي خمسة دونماً ، تضم عشرة آلاف صحابي ... تقع في الجنوب الشرقي مقابل المسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة وأول من دفن فيها من المسلمين هو أسعد بن زرارة الانصاري، ثم دفن بعده الصحابي الجليل عثمان بن مظعون، كما أنها تضم الرعيل الأول من الصحابة والصحابيات وال بيت النبي الأطهار وهم : (عثمان بن عفان ، العباس بن عبد المطلب ، عبد الله بن عبد المطلب ، إبراهيم بن محمد ، الحسن بن علي ، علي بن الحسين ، محمد الباقر ، جعفر الصادق ، إسماعيل بن جعفر الصادق ، فاطمة الزهراء بنت النبي وسيدة نساء العالمين ، فاطمة بنت أسد ، زوجات النبي وعددهن 12 زوجة ، بنات النبي (زينب .أم كلثوم . رقية) ، حليمة السعدية مرضعة النبي ، فاطمة الكلابية زوجة علي أم البنين ، عائشة بنت أبي بكر).مع وجود أكبر مغسلة للأموات في العالم فيها ، وتضم المقبرة إضافة إلى ما ذكر أكبر وشتى الجنسيات من دول العالم والشهداء والصحابة وعلماء المسلمين ، مع وجود موقع الكتروني خاص للاستعلام عن المتوفين وجنسياتهم ، لا توجد لوحات إرشادية داخل المقبرة ونقاط دلالة وإنما هناك مرشدين دينيين لهذا الغرض لا يعرفون مَن مدفون فيها رغم وجود قبور كبيرة تدل على إن المدفونين فيها ذوي شأن في الإسلام ويقولون لمن يسألهم (لا تسألوا عن الأموات) .. وهي من أغلى المقابر أرضاً حيث يتراوح سعر المتر المربع الواحد فيها 500-400 ألف ريال سعودي.

مناسك : عراقيون يؤدون مناسك العمرة في الديار المقدسة

هذه المقبرة تُفتح بعد صلاة الفجر لمدة ساعتين وساعة واحدة بعد صلاة العصر للرجال فقط ،لان النساء غير مسموح لهن زيارة المقبرة وإنما النظر من خلف السياج الخلفي للمقبرة .

4- المساجد التاريخية :-

مسجد قباء : أول مسجد بني في الإسلام ، ومسجد القبلتين ، والمساجد الست في واقعة الخندق (الفتح، الأمام علي ، فاطمة الزهراء ، سلمان المحمدي ، عمر بن الخطاب ، أبو بكر الصديق) : وهي مجموعة مساجد مبنية في واقعة الخندق وكل جامع يمثل مرابطة أحد الصحابة وموقعه في تلك المعركة.

5- مقبرة شهداء معركة أحد : -

تبعد عن المسجد النبوي الشريف مسافة 5 كم وتضم 70 من الصحابة الذين استشهدوا في معركة أحد ومنهم الحمزة بن عبد المطلب عم النبي رضي الله عنه.

مكة المكرمة

مهبط الوحي وأقدس بقاع الأرض وقلب العالم الإسلامي منها انطلقت الحضارة الإسلامية والرسالة المحمدية إلى العالم .. تقع مكة غرب المملكة وتبعد عن العاصمة الاقتصادية – مدينة جده – حوالي 79كم ، وعن المدينة المنورة ما يقرب من 385 كم وهي في السابق منطقة جبلية جرداء ليس فيها شجر ولا ثمر مساحتها 137 إلف كم2 ونفوسها 915،6 مليون نسمة حسب إحصاء عام 2012 ، الجو فيها حار صيفاً حيث تصل درجة الحرارة إلى 47 درجة مئوية وفي الشتاء مناخها دافئ لا تنخفض درجة الحرارة عن 17 درجة مئوية.. كل شعوب العالم تلتقي في المسجد الحرام وهي تردد (لبيك اللهم لبيك .. لبيك لا شريك لك لبيك) باللغة العربية الفصيحة ، تؤدي شعارات مشتركة باستثناء البعض منا يؤدي شعائره حسب أطروحات رجل الدين الذي يقلد.

المعالم

1- المسجد الحرام :-

يقع في قلب مدينة مكة المكرمة وهو أعظم مسجد في الإسلام تتوسطه الكعبة المشرفة التي هي أول بيت وضع للناس ليعبدوا الله وهو قبلة المسلمين في صلاتهم ، حيث يتوافد إليه ملايين الحجاج من مختلف أنحاء العالم لأداء مراسم الحج سنويا في شهر ذي الحجة ،كذلك أداء مناسك العمرة المفردة ممن لم يستطع ذلك ، مساحته تبلغ بعد التوسعة التاريخية 470،1 مليون متر مربع يستوعب مليوني مصل دفعة واحدة ..

ومن مرافق المسجد الحرام (الكعبة، حجر إسماعيل ، بئر زمزم ، مقام إبراهيم ، الصفا والمروة ، المطاف والمسعى ، الحجر الأسود) .

2- الأماكن التاريخية :-

جبل ثور وغار الهجرة و عرفة وجبل الرحمة ومسجد نمرة والمشعر الحرام (مزدلفة) ومنى ومسجد الخيف والجمرات وجبل النور وغار حراء مكان نزول الوحي .

فهي لا تبعد عن المسجد الشريف كثيرا .البعض منا يكتب اسمه أو اسم مريض يرافقه على الأحجار أو الصخور لغرض الشفاء أو التبرك أو يصلي فوق الجبل أو يأخذ التراب أو الحصى وهذا ما يثير حفيظة رجل الدين المسئول عن المكان أو المرشد الديني هناك ليقول لك بأن هذا الحجر لا يضر ولا ينفع أو يقول لك (أشركت يا حاج).

3- مقبرة قريش المسماة (مقبرة الحجون) :-

تضم المقبرة أجداد النبي (قصي بن كلاب ، عبد مناف ،عبد المطلب) ومدفون فيها أيضا أبي طالب وخديجة الكبرى زوجة النبي والقاسم بن محمد ابن النبي وبقية بنو هاشم كذلك سمية أم عمار زوجة ياسر أول شهداء الإسلام)).

4- إضافة إلى وجود متحف الحرمين الشريفين ومتحف مكة للآثار والتراث ومتحف التراث الإنساني.

لقد تعرضت تلك القبور والأضرحة إلى الهدم مرتين الأولى عام 1805 على يد سعود بن عبد العزيز ثم أعاد العثمانيون بنائها مرة أخرى ثم تهديمها عام 1925 مرة ثانية بعد عودة ال سعود وسيطرتهم على الحكم بالتعاون مع الانكليز وسقوط الدولة العثمانية عام 1922. حيث تم أحلال نظام علماني بدلاً من النظام العثماني من قبل الرئيس التركي الجديد مصطفى كمال أتاتورك (1938-1881) الذي بدوره ألغى الخلافة العثمانية نهائياً في عام 1924 وطرد الخليفة عبد المجيد الثاني وأقام النظام الجمهوري ، والذي أستبدل الحروف العربية التي كانت تكتب بها اللغة التركية بالحروف اللاتينية .

نهاية الرحلة :-

كانت رحلة ممتعة تعرفنا من خلالها على معالم المسجد النبوي الشريف ومعالم بيت الله الحرام الواقع في واد غير ذي زرع تحيط به الجبال من كل جانب ، توصلك إليه أربعة أنفاق جبلية تنقلك من خلالها حافلات نقل مجانية واقفة قرب الفندق الذي تسكن فيه.

لقد كان الدور الأكبر في تلك الرحلة للمرشدين الدينيين البالغ تعدادهم ثلاث مرشدين ، حيث يقوم هؤلاء المرشدون الدينيون بإلقاء محاضرات دينية – توعوية على المعتمرين وتعليمهم مناسك الزيارة وشرح تاريخ المدينة المنورة ومكة المكرمة وابرز معالمهما الدينية والأثرية ابتداءاً من قبر الرسول والصحابة والمساجد السبع وجبل احد وغيرها من المعالم التاريخية التي لا تزال تنبض في وجدان جميع المسلمين على مختلف ألوانهم ومذاهبهم من الذين يتوقون إلى زيارة هذه الأماكن المقدسة التي كانت منطلقاً لنشر الرسالة الإسلامية إلى جميع أنحاء العالم.

وللمرشدة الدينية دور كبير في الديار المقدسة من قبيل إعطاء المحاضرات الخاصة بالنساء لحل بعض الإشكاليات التي قد تحصل خلال أداء المناسك الخاصة بالنساء، ألا أن ما لاحظته في تلك الرحلة عدم وجود مرشدات من النساء على الرغم من أن النساء يشكلن الغالبية العظمى من الزوار.

ولا ننسى التعامل الأخلاقي الجاد من قبل الإخوة السعوديين ابتدءاً من وصولنا إلى المطار في مدينة جدة السعودية حتى رجوعنا إليه عند العودة ، كذلك الإخوة المسئولين عن المسجد النبوي الشريف والمسجد الحرام ، خاصة عند أداء – صلاة الجماعة – مع عموم المسلمين في كافة مساجد المدن التي مكثنا فيها أو مررنا بها ، والتي ذابت فيها الفوارق الطائفية والقومية وبقى الدين لله عز وجل ، والوطن والتاريخ للشعوب .

فإياك إن يكون شعارك فيما اختلف فيه المسلمون من حديث وتفسير لكتاب الله وأحاديث الرسول – ص – واتخاذك سنة إتباع المختلف عليه ابتغاء الفتنة والبغضاء والمذهبية المقيتة، ، وإياك وإتباع الهوى والتعصب للحوادث التاريخية التي مرت بها الأمة العربية والإسلامية عبر تاريخها الطويل ،لأن أولئك قبائل و عوائل سادة ثم بادت ، وإياك والتزمت للآراء والأطروحات الفكرية والفقهية الوضعية المتطرفة لبعض رجالات الدين.

وما كان عليه الآباء والأجداد من أفكار لا تتوافق مع الوحدة الإسلامية المنشودة ، لأنها تولد الفرقة بين المسلمين والتكفير والقتل على الهوية ..

وعدم التشبه بالكفار وأعداء الإسلام أو التوكل على غير الله ، فقد قال عز وجل في كتابه الكريم (ومن يتوكل على الله فهو حسبه).

مناسك : ضيوف الرحمن بعد اداء مناسك العمرة في احد فنادق مكة المكرمة

الطيبة هي الإنسانية

كم هو الحديث معك يحلو يا ابن اخي العزيز.. فأنت اركان نعم اركان وليس ركن واحد فالركن الواحد لم يجمع الكثير فأنت اركان بك اعتز برجولتك بصدقك ببراءتك بطيبتك باخلاصك بشهامتك وكل هذه الصفات الجميلة اتية من الايمان الصادق بالله ومخافته فكم كنت اتمنى ان اكتب عنك الكثير وان شاء الله وامد في عمري لحققت ذلك وها انا اقول لابن اي اركان متحدثا عن الطيبة قائلا.. الطيبة صفة جميلة محببة. والانسان الطيب عادة مايكون رقيق القلب، سخي العواطف، صادق النية، ولانه لايبخل بالمشاعر والاحساس التي يوزعها بسخاء على المحيطين به، سواء كانوا اقرب المقربين او ابعدهم، فانه ما "يتهم" بالسذاجة وربما الغباء. ولايبدو الامر غريبا في عصر احتل فيه النفاق الاجتماعي مرتبة الريادة بين باقي الصفات والخصال المطلوب توفرها لدى الرجل والمرأة العصريين.

وما اكثر ما سمعنا الناس يرددون بأن الطيبة والنية الحسنة الشفافة اشياء من مخلفات ايام زمان، وان المرء مجبر، اذا اراد ان ينجح في حياته العملية والشخصية والاجتماعية، على ان يرتدي قناع النفاق الاجتماعي، ويعرف كيف يجامل بلباقة رئيسه في العمل وزوجته في البيت واصدقاءه وجيرانه ومعارفه في المناسبات الاجتماعية المختلفة، ليس هذا فحسب، بل ان عليه ان يضع الطيبة وما شابهها من خصال "ايام زمان" في قنينة يحكم اغلاقها ويرميها في قاع البحر وينساها. لا مكان في عصرنا للطيبة ولا للنيات الحسنة. هكذا يقولون. تريد ان تنجح في حياتك بشكل عام؟ اذن تعلم كيف تكون انسان انانيا، نفيعا. دع العواطف جانبا وفكر في مصلحتك وحسب، ولا تكترث ان دست، في سبيل تحقيق هذه المصلحة، على بعض المساكين الذين اساؤوا فهم قوانين اللعبة. لست مسؤولا عن جهلهم. هكذا يجب ان تفكر.

من الصعب على من يعايش المصائب والمآسي التي تحدث بسبب انانية البعض وزيف وقساوة الاخرين ان يتوسم الخير في بني البشر.. كم مرة سمعنا قريبا أو اخا يترحم على طيبة "ناس ايام زمان" وهو يضرب كفا بكف ويتعجب من مكر وخداع اناس اليوم. وفي الحقيقة، لم يكن الاشرار والحاقدون واصحاب النيات السيئة الغادرة غائبين عن ايام زمان. فالشر والخير وجهان لعملة واحدة تداولتها البشرية منذ القدم. ولم يخل عصر من نصيبه من النماذج البشرية الخيرة والشريرة. لكنت طبيعة عصرنا التي حولت العالم الى قرية صغيرة تصطدم فيها المصالح وتتشابك الرغبات.. جعلت صراع الافراد داخل المجتمعات. وعلى مستوى المجتمعات ايضا. يغدو صراعا محموما ترتكب فيه الفظائع بأسم المصلحة الشخصية، ويتنكر الاخ لاخيه والقريب لقريبه والصديق لصديقه. ان التعامل مع الناس بطيبة وصدق اصبح في هذه الايام ضعفا وغباء لايجران خلفهما سوى الخيبات والمصائب.

ولا ادري ان كان علينا ان نستسلم لهذا الوضع!!.. اذا اخذ كل شخص حذره من الاخرين، وتعامل معهم- لن اقول تعامل انسان الغاب مع المحيطين به، فصراع الغاب مهما بلغت وحشيته صراع صريح مكشوف لانفاق فيه ولا خداع مبيت- اقول تعامل معهم بغدر وخيانة، اذا فعل الجميع ذلك ستصبح حياة الواحد منا سلسلة من المسرحيات المختلفة التي يلعب فيها ادوارا متنوعة وربما متنافسة ايضا. ستضيع شخصيته وسط الاقنعة العديد التي يواري نفسه خلفها. ستصبح حياتنا جميعا كذبة كبيرة.. ولا اتمنى لنا مصيرا كهذا.

قد يكون الكثير من الناس فقدوا روحهم الطيبة وتعودا على التعامل مع غيرهم بدناءة ولؤم، لكن ذلك لايعني ان الحالة عامة، ثمة قلوب طيبة كثيرة تخفق في الخفاء.

كم منا فوجئ مرة، بل مرات بأشخاص فقراء او اغنياء، يمدون يد المساعد لغيرهم، يغيرون مسار حياة البعض ببسمة، باشارة بكلمة طيبة، بموقف جميل، ولايرجون من وراء ذلك شكرا ولا امتنانا. القلوب النقية موجودة، والقلوب المتعفنة ايضا. والله منح البشر عقلا لكي يفكروا به ويدركوا اين خلاصهم واين سعادتهم ايضا وسط النقاء.. او وسط العفونة؟!

اللهم اعنا على انفسنا يارب وارحمنا.

عبد المحسن عباس الوائلي

بغداد

مستشفى تخرج من الإنعاش

وانت تدخل مضطرا لمراجعة مستشفى الرمادي العام الموجود في مركز المدينة ستتفاجأ بحجم الدمار الهائل الذي اصاب كل اركانها وبناياتها وزواياها، وحينما تقف بين اطلالها ستحس بارتفاع ضغط دمك، وتسارع في دقات قلبك ، وانت تشاهد المستشفى الوحيد وقد تحول الى اطلال بعد أن كان يقدم كل انواع الخدمات الطبية لمراجعيه الذين يتوزعون في محافظة تبلغ مساحتها ثلث مساحة العراق بالتمام والكمال. في البداية ستتعجب من عملية التخريب المقصودة والمدروسة وذلك بتفجير كامل بنايات ومرافق المستشفى، حيث عمدت عصابات داعش وبكل حقد أعمى الى وضع أقوى انواع المتفجرات أسفل الأعمدة الكونكريتية الاساسية التي ترتكز عليها طوابق المستشفى الست، ونهبوا و دمروا كل الاجهزة الموجودة فيها، حتى لتظنّ أن تنظيم داعش سعى لاحتلال محافظة الانبار فقط من أجل تدمير ونسف مستشفى الرمادي بالكامل ، بالرغم أنّهم يعلمون علم اليقين أن الشريحة التي ستضرر من وراء تفجير المشفى هم فقط من المرضى المعدمين والموظفين ذوي الدخل المحدود والفقراء، ويعلمون جيدا أن الاغنياء والساسة حينما يمرضون فإنهم يراجعون ملاهي بيروت واسطنبول ودبي!!. ثم بعد أن تستوعب الصدمة وأنت تتجول في أروقة المشفى سيتحول إحباطك وحزنك الى شعور بالراحة والغبطة وأنت تشاهد الاصرار العالي من قبل مختلف كوادر المشفى على إعادة الحياة لهذا الصرح المهم والوحيد في المدينة وبإمكانيات بسيطة نتيجة لظروف التقشف، فإلى جانب الشرخ الكبير المُخيف في بناية المستشفى الرئيسي تجد صالة نظيفة للطوارئ تستقبل كل ساعة العشرات من الحالات الحرجة، وعندما تمر بالقرب من تلال انقاض جدران المشفى ستشاهد صالة للعمليات الجراحية مكتظة بالمرضى الذين يرومون إجراء مختلف أنواع العمليات، وفي الجانب الاخر ستجد بناية سليمة كانت سابقا دارا لإقامة الاطباء تم تحويلها الى غرف مؤقتة لإنعاش الحالات الحرجة الواردة الى المشفى. والأهم من كل ذلك أنك ستشعر بتلك الروح السامية التي يتعامل بها أغلب كوادر المشفى تجاه المرضى للتخفيف عن معاناتهم بعد سنوات النزوح والتهجير القسري عن مدنهم وقراهم، وستشاهد بأم عينك أن الهمة العالية صنعت شئ من لا شئ. وأنا على يقين أن المستشفى لو وجدت الدعم اللازم من الحكومة المحلية عن طريق تخصيص جزء من الأموال الواردة الى المحافظة لتطورت بسرعة وعادت أفضل مما كانت عليه قبل استهدافها وتدميرها، ولو فكر أبناء المحافظة من الساسة والتجار وميسوري الحال وما أكثرهم بالمساهمة في إعادة بنائها وترميمها لكنا استغنينا عن وعود المنظمات الدولية بإعادة تأهيلها وتجهيزها بالأجهزة اللازمة. ولكم تمنيت أن يصدر عن علمائنا وسياسيينا ومسؤولينا وأحزابنا من يسعى لتبني مبادرة انسانية هدفها جمع الأموال اللازمة لإعادة الحياة الى أهم مرافق المحافظة الطبية، وكنت أتساءل دائما : ألم يكن من الأجدى صرف تلك الاموال الضخمة على بناء المشفى بدلا من إنفاقها على التحالفات والدعايات الانتخابية واجتماعات توزيع الكراسي والمناصب في أكبر فنادق العواصم العالمية ؟؟، ألم يكن أبناء المحافظة من المرضى والمعدمين أولى بتلك الملايين من الدولارات التي صرفت لتحسين وتلميع بعض الوجوه الكالحة التي أُبتُليت بها بلادنا ؟؟، ألم يكن بناء المستشفيات وتطويرها في سلم أولويات مسؤولينا حفظهم الله؟؟. كانت بالتأكيد أولى الأولويات أقلها لم يكن إبن المحافظة مضطرا ليستدين مبلغا من المال للذهاب الى العاصمة أو الى بلد أخر طلبا للعلاج، ولكان استغنى عن مراجعة دكاكين الطب تلك المسماة مستشفيات أهلية!!!. تحية إجلال واحترام لكل كوادر مستشفى الرمادي العام لما يبذلونه ويقدمونه ولعل اعمالهم الجليلة تنسينا بعض الصورة القبيحة التي يرسمها بعض الاطباء التجار الباحثين عن التربح السريع ولو على حساب تعاسة مرضاهم وآلامهم ودمائهم ودموعهم.

محمد علي شاحوذ

بغداد